الباب الثانى

الاتجاهُ المَاركسى

تمهيد:

الفصل الأول : الوعاء .

الفصل الثانى : المبدأ .

الفصل الثالث : ماذا فعلت الماركسية بالمسلمين .

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

لم تتغلغل الشيوعية فى الشرق الإسلامى ، كما تغلغل الغرب ، ربما لأن الأخير أسبق زمنا وأرسخ قدما .

وربما لأن الأخير أدرك فى الوقت المناسب طبيعة هذا الشرق ، فكف عن الحرب السافرة له فى عقيدته ، وتلون باسم الحضارة أو المدنية أو التغريب أو التغيير الاجتماعى لينشر العلمانية ، وتحرير المرأة ، وإضعاف الدين ، دون أن يشعر أكثر المسلمين .

لكن الماركسية أخطر على الشرق الإسلامى من الغرب ، بما تحمل فى « أسلوبها » من «خداع » ينطلى على عامة الناس ، خاصة من يخاطبون أول ما يخاطبون ممن يسمونهم طبقة «الصعاليك» أو البروليتاريا أى طبقة العمال الكادحة وبما تحمل من تحذير لهذه الطبقة أنها إليها سيئول الحكم ، وأن لها المكاسب من دون سائر الطبقات [1] .

ثم بما تحمل فى غايتها من تحطيم لعقيدة هذه الأمة وقضاء على دينها ، باعتبارها فى البداية وفى النهاية قائمة على الكفر بالله والإلحاد فى أسمائه ورفض كل الأديان ، وإن اتخذت «تخطيطا » مرحليا بعدم الهجوم على الأديان ، أو الزعم بأنها هى الأخرى اشتراكية ويسارية » إلخ . وهى فى سبيل هذه الغاية - حين يلوح لها النصر أو التمكين - تدوس كل شىء ، وتهلك الحرث والنسل ، وتغرق البلاد فى حمامات الدم لتقضى على كل خصومها ، وليظل الردع ماثلا لكل من تحدثه نفسه بالخروج عليها .

---

(١) راجع : أفيون الشعوب للأستاذ عباس محمود العقاد - الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٥ - الناشر : دار الاعتصام - القاهرة .

وقد عاشت الماركسية ـ منذ صارت لها دولة ـ تبذل الكثير لنشر مبادئها ، ورسمت لنفسها «خطة» الزحف عن طريق « الشعوب » أو الطبقات الكادحة ، ليتم التغيير من القاعدة ، لكنها منذ سنين قليلة راحت تجرب « لعبة » الولايات المتحدة الأمريكية لتجرى التغيير من القمة » بدلا من « القاعدة » عن طريق الانقلابات العسكرية .

ونجحت انقلاباتها فى بعض البلاد فى الاستيلاء على السلطة .

لكن هل تنجح فى تغيير القاعدة ؟

والماركسية تستعد ، لترث حضارة الغرب ، وهو أمر وارد :

أولاً : لأنها اليوم[1] تعيش «شبابها » وحضارة الغرب تعيش كهولتها .

ثانيًا : لأن لها من السحر والخداع لعامة الناس ، وخاصة الطبقة العاملة ما ليس لغيرها من مبادئ الغرب .

ثالثًا :لما يعيشه الغرب الآن من تفسخ وانسلاخ من دينه ، بما لا يحميه من ذلك الكفر الصراح .

وأخيرا : لما أشرنا إليه وسوف نشير إليه بإذن الله من أن أساس الحضارتين واحد، فلا غرو أن ترث الأخت أختها .

ومن ثم

فكلماتنا رغم موضوعيتها وأساسها العلمى تحمل النذير لأمتنا .

إن البساط يسحب من تحت أقدامها .

وإن الدمار و « الفناء » ينتظرانها،إن هى غفلت ـ بعد اليوم ـ ولو لحظة.

أو إن هى فرطت ـ بعد اليوم ـ ولو ذرة .

---

(١) مثل هذه العبارات (اليوم) و (الآن) إنما ترجع لتاريخ بداية تأليف الكتاب، أما الآن فلا يخفى على القارئ ما وصلت إليه الماركسية .

ونحسب أن نقطة البداية الطبيعية لمثل هذه المبادئ الخادعة أن نتعرف وعاءها - فكل وعاء بما فيه ينضح، والبيئة التى نشأت فيها ، ثم الرجل الذى نادى بها .

ثم نعرض بعد ذلك للمبدأ ، فى أصله .

وفى محاولة تطويره ، لتلافى عيوبه .

وأخيرا ، لما فعلته الماركسية بالمسلمين .

ابتداء من أرض القرم والقوفاز .

وانتهاء إلى أرض اليمن والصومال .

والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وإن الحكام أول المسؤولين ، ليس فقط أولئك الذين سمحوا لها ـ عن علم ـ بالوجود على أرض المسلمين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ـ بل كذلك أولئك الذين يمهدون لها ـ عن جهل ـ الطريق ، ونعنى ذلك الفريق الغارق فى شهواته، المبذر فى أمواله وأموال المسلمين من غير إقامة لعدالة الإسلام الاجتماعية بين الفقراء والمحرومين.

الفصل الأول

الوعاء

دراسة المبدأ بغير وعائه دراسة قاصرة .

ذلك أن الفصل بينه وبين ذلك الوعاء فصل تحكمى .

وإلا

فإن نافخ الكير «يمكن أن يخرج» مسكا ، وحامل «المسك» يمكن أن يخرج شرارا، وصدق الله العظيم : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ [الأعراف :٥٨] .

والحديث عن وعاء الماركسية يشمل :

البيئة التى ظهرت فيها .

ثم الرجل الذى نادى بها ، وحسبنا ذلك .

وإن كان فى كثير من النماذج الأخرى الداعية إليها ، الكثير من سمات أصحابها الأولين.

المبحث الأول

البيئة

ظهرت الماركسية أول ما ظهرت فى أوربا .

وكان كل شىء ـ هناك ـ يمهد لها.

الدين .

الاقتصاد .

الفلسفة .

ولنعط كلا كلمة.

أولا : الدين فى القرن التاسع عشر [1] :

قاست أوربا الكثير مما آل إليه أمر دينها ، هذه حقيقة لابد من الاعتراف بها .

ففى الوقت الذى بدأت تتفتح فيه على العلم وتأخذ بأسبابه .

وفى الوقت الذى اتصلت فيه بالشرق الإسلامى - بأكثر من طريق - وعرفت عقيدته السهلة وشريعته السمحة ، تفتحت آذانها وعيونها ، على دين معقد يصادم العقل ويرهقة .

فمن قائل بأقانيم ثلاثة : (الأب والابن والروح القدس) .

ومن قائل :« المسيح ابن الله ».

ومن قائل : «إن الله هو المسيح ابن مريم».

وكل ذلك تحريف لدين المسيح ـ عليه السلام ـ وخروج عليه .

فكيف لأبناء « عصر النهضة » أن يسيغوا ذلك « الخط والخبط »؟

---

(١) راجع عرضا طيبا فى كتاب للأستاذ عبد الحليم خفاجى ص ٦٩ وما بعدها .

وكيف بمن سمعوا شيئا عن عقيدة الإسلام : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء :٢٢] ،﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى :١١] ، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص] .

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسيغ ذلك التعقيد ؟

ثم كيف مع ذلك التعقيد ، بما انحدر إليه رجال الدين .

«كرسى الاعتراف » ، صكوك الغفران ، قرارات الحرمان .

وأخيرا تلك الوصمة التى لا تنسى :

اضطهاد العلم والعلماء ، وتكفيرهم ، وسوقهم إلى محاكم التفتيش لترتفع أعظم الرؤوس على أعواد المشانق .

لم يكن بعد ذلك غريبا أن ترتفع الصيحة :

«اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ».

ثم بأن تكون « الردة » عن ذلك الدين ، إلى دين ماركس .

ثانيا : الاقتصاد فى القرن التاسع عشر [1] :

كانت الرأسمالية فى عنفوانها .

أصحاب المزارع الكبيرة « يمارسون » الإقطاع .

وأصحاب المصانع ـ بعد الثورة الصناعية ـ يمارسون إقطاعا من نوع آخر .

قلة تملك وتكدس الثروات ، وتعيش حياة « الترف الداعر ».

وملايين محرومة ، تعيش حياة البؤس والشقاء ، وتشهد من قريب من يرفلون فى عرق جبينهم .

والتطرف يفضى إلى تطرف، ذاك قانون الطبيعة .

---

(١) راجع تفصيلا فى مؤلف الدكتور محمد البهى« تهافت الفكر المادى بين النظرية والتطبيق» ص ١٧ وما بعدها ـ الناشر : مكتبة وهبة ـ الطبعة الثالثة ـ أكتوبر سنة ١٩٧٥ .

obeikandl.com

فليس غريبا أن تستمع الطبقة الكادحة لذلك النداء الخادع :يا صعاليك العالم ، اتحدوا فأمامكم عالم تغنمونه وليس عندكم من شيء تفقدونه غير القيود والأغلال [1] .

وليس غريبا أن يصدقوا نظرية « فائض القيمة وإلغاء الملكية الفردية » وشيوعية المال وأسطورة : من كلٍ حسب طاقته ، ولكلٍ حسب حاجته .

ثالثا : الفلسفة فى القرن التاسع عشر :

كانت الفلسفة السائدة فى ذلك القرن هى ما يمكن أن يسمى بالفلسفة المثالية والتى كانت ميراثا كبيرا ، منذ «أفلاطون» إلى «فيورباخ» .

وقد أغرقت فى التحليق فى الخيال ، وأغرقت كذلك فى الخوض فيما ليس لها فيه علم ، مثل كثير من « الإلهيات » ، فكانت الفلسفة المادية القائمة على « الحس » رد فعل لتلك الفلسفة المثالية المغرقة فى الخيال [2] .

وهكذا كان الدين ـ فى أوربا ـ يمهد للماركسية .

وكانت الرأسمالية ـ فى أوربا ـ تمهد للماركسية .

وكانت الفلسفة المثالية فى أوربا ـ تمهد للفلسفة المادية .

وكان على البشرية كلها ، أن تكفر عن « خطيئة » أوربا بخطيئة أخرى ، وهى الماركسية .

وقبل أن نعرض لها، نلقى بعض الضوء على صاحبها، ومؤسس أول دولة لها؛ ليكتمل الحديث عن الوعاء .

---

(١) هذه صيحة ماركس ، استغل فيها نكسة الرأسمالية وارتكاسها لينتقل بالعالم إلى نكسة وارتكاسة أشد خطورة .

(٢) راجع عرضا جميلا للأستاذ عبد الحليم خفاجى عن أن الفلسفة المادية كانت تعبيرا عن أزمة الفلسفة المثالية من ص ٥٥-٦٦ من كتابه القيم (حوار مع الشيوعيين فى أقبية السجون) الطبعة الأولى ١٣٩٤-١٩٧٤ - دار القلم - الكويت .

المبحث الثانى

مؤسس الفكرة

أولا: اليهود و «الفكرة» :

مؤسس الفكرة : ماركس .

ومؤسس الدولة: لينين .

وكلاهما من أصل يهودى .

وحتى لا نغرق فى الحديث عن صناعة اليهود للفكرة وصناعتهم للدولة وما قيل عن « تخطيط » اليهود للثورة البلشفية [١].

وتمويلهم لها [٢].

واشتراكهم بأعضاء منهم فى مجلس الحزب والثورة [٣].

ثم فى مجلس السوفييت الأعلى الحاكم [٤].

---

(١) هذا ما قد يتضح من بروتوكولات حكماء صهيون ـ وما يؤكده تنبؤ ناشر هذه البروتوكولات العالم الروسى «سرجى نيلوس» منذ سنة ١٩٠١ بقيام الثورة البلشفية فى روسيا ، وهو ما حدث فعلا بعد ستة عشر سنة من تنبئه.

وفى مجلة يهودية أمريكية فى ١٠/ ٩/ ١٩٢٠ أن الثورة الشيوعية فى روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام جديد للعالم ، وأن ما تحقق فى روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التى خلقت الشيوعية فى العالم ونتيجة لتدبير اليهود ، ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم (مجلة أفريكان هيرو) .

(٢) تشير كثير من المؤلفات إلى أن تمويل الثورة الشيوعية قام به خمسة من اليهود هم : جاكوب شيف، جوجنهايم ماركس بريتوغ وأتوكان، راجع محمد خليفة التونسى (الخطر اليهودى)، ماجد الكيلانى ـ (الخطر اليهودى على العالم الإسلامى)، حقيقة الشيوعية ـ سلسلة اخترنا لك ـ دار المعارف بمصر تجربه عربى فى الحزب الشيوعى لقدرى قلعجى ـ بيروت .

(٣) كان من اليهود فى مجلس إدارة الحرب والثورة : ١ تروتسكى ٢ جوف ـ ٣ ـ لينين ٤ ـ اتنشلخت ٥ ـ سويردلوف ٦ ـ لورتسكى ٧ ـ جوسيف ٨ ـ مولوتوف ليس يهوديا ولكنه متزوج يهودية راجع ما سبق.

(٤) كان المجلس الحاكم على عهد ستالين مكونا من ١٧ عضوا منهم ١٤ يهوديا على النحو التالى : كاجاتوفتش (نائب رئيس المجلس) بيريا ، شفيرنيك ، كيرتشينستين جوركين ، فيرشيلوف ، مولوتوف ، إيليا إبرهمبرج ، ويفنكسى ، هيسنرج ، ميخيليس فرمين جودى ، لوزوفسكى .. علاوة على أن رئيس المجلس ستالين كان متزوجا من يهودية ويذكر أمان راجوزا فى كتابه عن ستالين أن جدته لأمه كانت يهودية .

ورفعهم شعارهم ، شعارا للثورة البلشفية نفسها [1] .

كل ذلك ، وإن كان أكثره صحيحا - إن لم يكن كله - فإنه فى الوقت نفسه يتضمن لونا من الدعاية اليهودية بقصد إلقاء الرعب فى قلوب أعداء اليهود ، وحمل الآخرين على تقبل مطالب اليهود .

نقول : لا نغرق فى ذلك ، لنعرض لماركس صانع الفكرة .

ونترك صناع الدولة « اكتفاء بالإشارة السابقة ».

ثانيا : ماركس :

وندع أنه من أصل «يهودى ».

وإن كان لذلك الأصل تأثيره ، بما عرف عن الطبيعة اليهودية من حقد والتواء وبما عرف منها من تقديس للمادة : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة :٩٦] أية حياة ، ولا شك أن للوراثة أثرها ، نعرض عن ذلك حتى لا نحاج بأننا نحمل الرجل أوزار أجداده وآبائه ، والله يقول : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر :١٨].

لكننا نشير إلى أشياء ثابتة فى حياة كارل ماركس :

١ـ ما وصفه به أبوه من طبيعة تميل إلى الهدم والتدمير والأنانية .

٢ـ ما قبله على نفسه أن يعيش بعد وفاة أبيه عالة على أمه وأخواته يأكل من نصيبهن فى الإرث بعد أن أكل نصيبه ، وذلك بدلا من أن يعولهن وهن الإناث الضعاف .

٣ـ ما قبله على نفسه أن يعيش عالة على صديقة «فريدريك إنجلز » .

٤ـ ما ارتكبه من غش واحتيال على بعض دور النشر ، إذ باعها حق نشر بعض كتبه فى الوقت الذى كان يبيعها إلى دور أخرى .

٥ـ موت ابنتيه منتحرتين .

واحدة (ألينورا) بعد أن عاشت (فى الحرام) مع عشيق لها ثم اكتشفت سبق زواجه ، والثانية (لورا) خوفا أن تدركها الشيخوخة .

---

(٢) يتخذ اليهود الأفعى الرمزية رمزا لأمتهم كما يتخذون النجمة السداسية شعارا لهم ، وقد اتخذت الثورة البلشفية شعارا لها الأفعى الرمزية وبداخلها النجمة السداسية.

ونحن وإن كنا لم نأخذ كارل بذنب آبائه ، فإننا لا نأخذه بذنب بناته كذلك ، ولكننا نتساءل : كيف لم يستطع ذلك العبقرى أن يربى بناته ، بل لم يستطع أن يعرفهن طريق الحياة الصحيح [1] .

ولنحاول بعد ذلك أن نتعرف على الماركسية مبدأ ، بعد أن عرفناها وعاء ، فيما عرضنا له من « البيئة التى نشأ فيها ، ثم من الشخص الذى نشأت عنه ».

(١) راجع عرضا جميلا لأحد عباقرة الفكر الحديث عباس محمود العقاد فى كتابه:الشيوعية والإنسانية فى شريعة الإسلام ـ نشر دار الكتاب العربى من ص ٢٩ـ ٧٤ وقد أغفلنا الإشارة إلى أمرين :

الأمر الأول : ما أشار إليه العقاد من اعتلال جسمه ، وما قد يكون له من أثر فى اعتلال عقله ، فإن ذلك ليس اضطرادا دائما ، فقد تكون علة الجسم حافزا إلى توقد العقل واستقامته إذا عرف الطريق الصحيح .

الأمر الثانى : ما أشار إليه العقاد من قذارة كارل ماركس البدنية وعدم نظافته ، وما استدل به على ذلك نقلا عن «ليوبلد شوارتشيلد » صاحب كتاب البروس الأحمر ، وغيره من التقارير المحفوظة فى دار المحفوظات بمدينة ليبزج - فقد لا يرى البعض أن تلك القذارة الظاهرية ناجمة عن قذارة باطنية .. وقد لا يكون الربط محكما بين قذارة جسمه وقذارة أفكاره .

obeikandl.com

الفصل الثانى

المبدأ

من مادية «فيورباخ» وجدلية «هيجل»، أقام كارل ماركس فلسفته على المادية الجدلية[1] ، وربطها بأربعة قوانين وبهذه المادية فسر التاريخ تفسيرا ماديا ، وبهذه النظرية المادية أرجع كل شىء فى الاقتصاد إلى أدوات الإنتاج وقال بفائض القيمة .

وبذا تبدو الماركسية أشبه بالدين؛ نظرة إلى الحياة، وتفسيراً للكون، ونظاماً للمجتمع، ولا يتسع المقام للعرض للجوانب الماركسية كمذهب، وكنظام اجتماعى واقتصادى وسياسى، لكنا نكتفى منها بالأساس، فإذا انقض الأساس فبقية البناء محكوم عليه بالسقوط والانهدام، وتبدو الرابطة واضحة بين أساس الماركسية الفكرى، وأساس الغرب الفكرى، بل إن الماركسية مدينة للغرب فى فكرها، فإن ماركس لم يأت بجديد وإنما من التلفيق بين ما قاله هيجل وما قاله فيورباخ أقام فلسفته التى كانت ـ كما أشرنا ـ رد فعل للفلسفة المثالية التى أغرقت فى الخيال [2]، أو كما قال بحق أحد الكتاب : كانت تعبيرا عن «أزمة الفلسفة المثالية فى القرن التاسع عشر».

وفلسفة ماركس مضى عليها أكثر من قرن ، ومن ثم فهى - كفكر بشرى محكوم عليه بالرجعية، وإن ادعت، أو ادعى أنصارها لها عكس ذلك .

(١، ٢)يعترف ماركس وإنجلز ولينين أن الينبوع الفلسفى الأساسى للفلسفة الماركسية كان المثالية الألمانية وأنه لولا الفلسفة الألمانية ولا سيما فلسفة هيجل (ونضيف إليها فيورباخ) لما تأتى للاشتراكية العلمية أن ترى النور .

ماركسية القرن العشرين ـ ترجمة لكتاب جارودى ـ التحول الكبير فى الاشتراكية ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢م ، تعريب نزيه حكيم .

ويبدو ذلك واضحا فى محاولات كثيرة جرت لترقيعها ...

ومنها ما قال به لينين، حين واجهت النظرية العمل والتطبيق ،وبدأ امتحانها الحقيقى، ومنها ما أدخله عليها ستالين وخروشوف والمؤتمر الذى انعقد سنة ١٩٦٣ فى موسكو من ٢٩ عالما سوفيتيا ليضع «أسس الماركسية اللينينية» مما انهارت معه بعض أسس تلك الفلسفة أمام حقائق العلم الحديث . وأخيرا منها ما قال به الفيلسوف الفرنسى روجيه جارودى فى سنة ١٩٦٦م فى كتابه « التحول الكبير فى الاشتراكية» .

والذى عرب تحت اسم ماركسية القرن العشرين [١].

وبه بعدت الماركسية كثيرا عن أساسها ، وغضب لذلك أنصارها فأخرجوه من الحزب سنة ١٩٦٩ بعد أن كان يحتل مركز عضو المكتب السياسى وفيلسوف الحزب الشيوعى، وأعقب ذلك رفض الحزب الشيوعى الفرنسى لدكتاتورية البروليتاريا، وتبعه فى ذلك الحزب الشيوعى الإيطالى .

وفى الصفحات التى تلى، نحاول ـ بمشيئة الله ـ فى بحث أن نعرض للمبدأ فى أساسه [٢]، ثم نحاول أن نعرض فى مبحث ثان نظرتهم إلى الدين، قديما وحديثا ، ليحق الله الحق بكلماته، ولو كره المجرمون وسوف نلتزم الموضوعية فى عرضنا للمبدأ ومناقشتنا له إن شاء الله .

---

(١) مشار إليه ماركسية القرن العشرين ـ ترجمة لكتاب جارودى التحول الكبير فى الاشتراكية ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ تعريب نزيه حكيم .

(٢) بالنسبة للتفسير المادى للتاريخ تراجعت عنه الماركسية فيما قرره فريدريك إنجلز من خطئه هو وصاحبه فى تقديم العامل المادى على غيره من العوامل ... وحسبنا منهم ذلك . وبالنسبة للماركسية كنظام فإن مكان دراستها كنظام اقتصادى علم الاقتصاد وكنظام سياسى علم السياسة وكنظام اجتماعى علم الاجتماع ، بيد أننا ـ كما أشرنا ـ بهدم الأساس ينهدم ـ بإذن الله ـ بقية البناء ، والله غالب على أمره ـ راجع لنا عرضا سريعا تحت عنوان فتنة الماركسية فى كتاب (شريعة الله حاكمة ليس بالحدود وحدها).

المبحث الأول

المبدأ فى أساسه

تقوم الماركسية على أساس من المادية الجدلية .

فالماركسية تقوم على المادة .

وتؤمن بالجدل .

ولنا فى كلٍّ كلمة .

أولا : المادة :

فى فكر ماركس ـ على ما كان سائدا فى القرن التاسع عشر ـ كانت المادة هى ما تقع عليه الحواس ، ومن ثم قامت فلسفة ماركس، ونظريته على أساس من ذلك التعريف الذى صار طالب المدارس الثانوية يعرف اليوم أكثر منه ، وإن أضاف إليه ماركس أن الفكر لاحق على المادة وتابع لها ، ومن ثم فقد عاد لينين ليعرف المادة بأنها الوجود الموضوعى خارج الذهن .

وتتابعت الاكتشافات العملية بأسرع مما تصورت الماركسية .

وصارت الماركسية فى حرج من أمرها .

واجتمع أكثر من عشرين عالما سنة ١٩٦٣ م ليضعوا « أسس الماركسية اللينينية»، فهدموا ما قاله ماركس ، إذ قرروا « أن النشاط الذهنى أو الفكرى خاصة مميزة للمادة ولكنها ليست شكلا من أشكال المادة

ثم ليقرروا :

وفى الوقت الحالى يعتبر التوحيد بين الفكر والمادة من مفاهيم المادة المنحطة ، ويسجل فيلسوف ماركسى متحرر من الماركسية القديمة جمودها فى مواجهة العلم ،

وبعبارة أدق عدم ملاءمتها اليوم لصيحات العصر العلمية ، ويدعوها إلى أن تطور نفسها لتظل صالحة للعصر، لكنها فى الواقع إذ تطور نفسها تكاد تنسلخ من أصلها لتصير شيئا جديدا ، يمكن أن ينسب إلى شىء آخر سوى ماركس [1] .

وبعد :

هل المادة هى الطاقة ؟

أم صورة منها ؟

وهل الحرارة والكهرباء آخر مراحل المادة ؟

وأين يذهبان حين يختفيان مع الأثير ؟

وما هو الأثير ؟

إنه ليس بالشىء المادى وإن لم يعرف بعد ما هو .

لا يزال العلم يضيف كل يوم جديدا .

ولا تزال محنة الماركسية قائمة ما استمسكت بقيام الكون على أساس من المادة والمادة فقط [2] .

وهل المادة هى ما يحس فحسب ، وقد أثبت العلم أن ما تقع عليه الحواس من المواد يمثل ٧٪ ولا تقع عليه الحواس ٩٣٪ [3].

ولا تزال محنة الماركسية قائمة وهى عاجزة عن أن تجيب .

---

(١) ينقل الفيلسوف الفرنسى أندريه جارودى عن فريدريك إنجلز قوله على المادية بالضرورة أن تكتسب صورة جديدة مع كل اكتشاف هام بادى الأثر فى تاريخ العلوم .

ثم يتساءل: هل حقق الماركسيون برنامج إنجلز؟.

ويجيب : لقد فعلوا ذلك مرة واحدة عام ١٩٠٨ بكتاب لينين «المادية والتجاربية؟ النقدية» حيث قضى ثلاث سنوات من عمره يدرس أهم كتب الفيزياء المعاصرة « التحول الكبير فى الاشتراكية » .

(٢) راجع عرضا جميلا للأستاذين : عبد الحليم خفاجى ، يوسف كمال محمد ، الأول فى كتابه القيم «حوار مع الشيوعيين»، والثانى فى بحثه القيم «مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام».

(٣) من بحث لوحيد الدين خان مقدم إلى مؤتمر الفقه الإسلامى بالرياض فى ذى القعدة ١٣٩٦ هـ .

obeikandi.com

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝ ﴾ [الطور].

ثانيا : الجدل :

الجدل الذى يمزج ماركس بينه وبين المادة ، هو ما أشار إليه هيجل من احتواء الشيء على النقيضين .

وغير ماركس ذلك النسج .

وغره أن كان العلم ـ على قرنه التاسع عشر يعتبر الطبيعة قائمة على عنصرين : الطاقة والمادة .

ومن ثم أخذ الجدل ، وبنى عليه فلسفته المادية الجدلية .

وأثبت العلم بعده وحدة الطاقة والمادة .

وأن المادة ليست إلا طاقة مركزة .

والطاقة مادة ، لا نقول عنها : إنها طاقة إلا أن تسير بسرعة الضوء ، وكان تفجير الذرة تكذيبا لماقال به ماركس من قيام التناقض داخل المادة ، فقد توهم من وجود السالب (الإلكترون) والموجب (النيترون) أنهما متناقضان، وفات ماركس أن الاختلاف لا يعنى التناقض .

إن وجود السالب والموجب داخل الذرة .

وداخل الكهرباء .

وداخل المغناطيس .

بل وفى النبات .

وفى الحيوان .

وفى الإنسان .

لا يعنى أبدا التناقض .

إنه يعنى شيئا آخر فات ماركس ، هو التكامل والتزاوج ، فمن العنصرين تقوم الحياة وصدق الله : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات] .

ومظاهر الطبيعة الأخرى التى قد تعطى ظلا من الأختلاف فالليل والنهار مثلاً إنما نعطى فى الحقيقة التكامل الذى أشرنا إليه ، وهو ما يشير إليه القرآن الكريم : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ [النبأ] .

ومن ثم فلا تناقض متى وجد التكامل.

بل إنها كلها تسير وفق نظام رسمه لها خالقها :﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس] ، ولا يقع التناقض ولا الصراع إلا أن تخرج المادة عن نظامها الذى خلقها عليه خالقها ، فالذرة لا تنفجر حتى يختل ترتيب الإلكتروتات البروتونات، ومثل الذرة كل مظاهر الكون والطبيعة ، لا تختل حتى تخرج عن نظامها المفطور ، أو مدارها المرسوم .

ومثل الطبيعة الإنسان ، لا تناقض فيه بين الذكر والأنثى ، بل تكامل وتزاوج : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:٢١]، والتناقض والتنافر لا يتأتى إلا أن يخرج الرجل عن طبيعته أو تخرج المرأة عن طبيعتها . ولا تناقض داخل الإنسان نفسه ، لا تناقض بين روحه وجسده ، بل كذلك تكامل وتزاوج ، ولا يأتى التناقض والتنافر حتى تطغى إحدى القوتين على الأخرى .

فيتوهم الإنسان أنه يمكن أن يعيش جسدا بغير روح ، يلبى رغائب الجسد وشهواته ، وفى مقدمتها شهوتا البطن والفرج . وينسى أن له روحا لها غذاء ولها أشواق ، ولابد معها من الضوابط للقوة الأولى قوة الجسد .

أو يتوهم الإنسان أنه يمكن أن يعيش روحا بلا جسد، فيعرض عن مطالب الجسد أو يكاد ، فيرهق نفسه بالصيام دهرا ، وبقيام الليل كله، وينسى سنة الرسولﷺ :«إن لربك عليك حقا، ولبدنك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه».

وبـذا ينهار جـدل « ماركس » ومـن قبلـه جدل «هيجل» ، وتعيش الحقيقة الخالدة: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات] .

المبحث الثانى

الماركسية والدين

كان لابد من هذا المبحث، وإن استغنينا عن كثير من مباحث الماركسية .

أولا : لأن كثيرا من المتمركسين يزعمون أنه لا كفر فى الشيوعية ولا إلحاد .

ثانيا : لأن النغمة الجديدة التى صاروا إليها أو ساروا بها ، هى الجمع بين الماركسية والدين ، فلا تعارض بينهما .

ونحاول أن نبين موقف الماركسية من الدين .

ثم نبين بعد ذلك موقف الدين من الماركسية، وهل يمكن أن يرقع بها الدين أو يكمل بها «نقصه»؟

أولا : موقف الماركسية من الدين :

لم يخف ماركس رأيه فى الدين .

بل إن الدين ـ على قرنه التاسع عشر فى أوربا ـ كان تمهيدا طبيعيا للماركسية كما قلنا بما آل إليه أمره من تعقيد فى العقيدة ، ثم بما آل إليه أمر أهله أو رجاله من تنفير وتشويه ، بعد التحريف والتأويل .

وماركس ـ وأتباعه ـ يردد فى أكثر من مكان، أن الدين «أفيون» الشعوب ومخدر الفقراء ، وأنه انعكاس لشقاء فعلى ، واحتجاج على هذا الشقاء [1] .

وظلت الماركسية تعتز بموقفها من الدين طوال صدامها مع الكنيسة ، حتى إذا قيض للماركسية أن تجد لها أتباعا فى شرقنا الإسلامى ، فإذا بها بدأت تراجع موقفها

---

(١) روجيه جارودى ـ المرجع السابق ص ١٤٣ وما بعدها ، والدكتور عبد الحليم محمود فى بحثه «الإسلام والشيوعية» ص ٣١ و«الإسلام فى وجه الزحف الأحمر» ـ محمد الغزالى ص ٥٠ وما بعدها، جمال عبد الناصر عن الشيوعية فى كتاب (حقيقة الشيوعية) .

من الدين ؛ لتتخذ إزاءه «خطة مرحلية»، بعد ما وجدت من عقيدة الإسلام صخرة صلبة تقف فى طريقها، وكان أن قرر بعض المؤتمرات الشيوعية ضرورة الابتعاد عن الهجوم على الدين ، وتلا ذلك نصائح بعض مفكريهم بعدم إنكار أثر الدين ومحاولة الاستفادة منه . وهكذا يقول أحدهم : « وإن هناك لأملاً كبيرا مشتركا بين ملايين المسيحيين فى العالم وبين ملايين الشيوعيين، وهو أن نبنى المستقبل دون أن نضيع شيئا من ميراث القيم الإنسانية التى جاءت بها المسيحية منذ ألفى عام » ويضيف : « إن تكذيب صيغة (أفيون الشعوب) التى لخص بها ماركس ولينين تجربة لا سبيل إلى نكرانها ، ليس قضية فحسب ، بل هو أيضا أمر ممارسة سياسية واجتماعية »[1].

ثانيا : موقف الدين من الماركسية :

ونحن نقصد بذلك ديننا . دين الإسلام .

فلئن كان فى ظروف الدين المسيحى ـ على وضعه الحالى ـ ما أتاح للماركسية أن تنتهكه بل أن تلتهمه، فليس فى ظروف ديننا شىء من ذلك .

ليس فى ديننا ذلك التعقيد فى العقيدة .

ليس فيها أقانيم، ولا تثليث ، ولا إشراك .

وليس فى ديننا شىء من التحريف أو التشويه .

كما حدث لدين المسيح عليه السلام مما حدا بمفكرى الماركسية أن ينظروا إلى الدين على أنه مشروع إنسانى «أى جهدبشرى» .

ولا وقف علماء الإسلام من العلم مثل ما فعل رجال الدين المسيحى مع العلم والعلماء فى القرون الوسطى ، ومن ثم فإن موقفنا من الماركسية يختلف عن موقفهم.

---

(١) روجيه جارودى ـ المرجع السابق ص ٢٠٢ ـ وإن كان يعترف فى نفس الوقت بإلحاد للماركسية ويميز إلحاد الماركسية عن إلحاد القرن الثامن عشر الذى كان فى جوهره سياسيا وإلحاد القرن التاسع عشر الذى كان بصورة عامة إلحاد علموى يقصد أنه علمى أى من تناقض العلم مع دينهم فى ذلك الحين، ويسمى الإلحاد الماركسى إلحاد القرن العشرين، ويقول : إنه فى جوهره إنسى ص ١٤٣، ١٤٤ المرجع السابق، وهو يعتبر الدين جهدا إنسانيا ص١٦٣ .

ومحاولة التوفيق أو « التلفيق التى يصنعها «أذكياء» الماركسية للتدليس أو التدسس إلى الإسلام ـ بإعلانهم قبول الإسلام عقيدة والاشتراكية العلمية منهجا ـ محاولة مفضوحة مردودة .

أولا : لأنه واضح فيها التكتيك المرحلى .

وهو ما كشفت عنه كثير من كتابات مفكريهم بل ما أوصى به بعض مؤتمراتهم .

وثانيا : سواء اعتبروا تلك «المصالحة» أو التوفيق «تكتيكا» مرحليا، أو قبلوه استراتيجية دائمة أو حتى أدخلوه فى نظريتهم واعتبروه جزءا من أيديولوجية (عقيدة) دائمة .

على كل هذه الفروض، فإن ذلك العرض مرفوض.

لأن القول بأن الإسلام عقيدة والاشتراكية العلمية منهج، قول يتنافى مع طبيعة الإسلام، فهو عقيدة ومنهج حياة.

وهو فى هذا لا يقبل التجزئة ، ولا التفرقة ، ولا المساومة .

ولا التلفيق، ولا الترقيع.

ويسمى كل ذلك : كفرا .

وفتنة .

وجاهلية ، ومحادة لله ورسوله .

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٨٥] .

﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩] .

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة].

﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٧٩] .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الذين صنعوا الدين رجال، وهم رجال ، ولهم أن يصنعوا مثل ما صنعوا، ومن ثم لهم أن يشرعوا «الماركسية» كما شرع البابوات «المسيحية» .

وليس فى ديننا صكوك غفران، ولا قرارات حرمان.

وهو فى هذا منطقى مع عقيدته، ومع شريعته .

فعقيدته أن« الشرع» كالخَلْق خالص حق الله .

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

والألوهية التى نرفعها لنا شهادة وشعارا، ونقر بها لله سبحانه وتعالى وننفيها عمن سواه، هذه الألوهية من معانيها التسليم لأمر الله وشرعه .

وشريعته كذلك :

شملت كل نواحى الحياة ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل : ٨٩] ، تشمل الحياة السياسية ، والحياة الاجتماعية ، والحياة الاقتصادية ، ولا يمكن فيها فصل حياة عن حياة .

ومن ثم فللماركسية أن تبحث لها عن دين آخر .

تجرى معه التوفيق أو التلفيق .

ولقد سبقتهم إلى ذلك يوما قريش .

فقال الله لهم :﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون] .

الفصل الثالث

ماذا فعلت الماركسية بالمسلمين ؟ [1]

المأساة أكبر من أن تكتب فى فصل .

نكتفى فيها بالإشارة .

ونطلب فيها من القارئ ـ بل نلح ـ أن يقرأ المزيد .

المبحث الأول

المسلمون فى الاتحاد السوفيتى [2]

الأرض الإسلامية ـ ميراث محمد عليه الصلاة والسلام ـ أضعاف أرض روسيا، فأقاليم الإسلام فى الاتحاد السوفيتى تشمل :

١ـ الأورال .

٢ـ إسترخان .

٣ـ سيبيريا.

٤ـ القرم (وهى أغنى المناطق بالحاصلات الزراعية) .

٥ـ القوقاز (وهى أغنى المناطق بالبترول وبعض المعادن) .

٦ـ التركستان بلاد ما وراء النهر (منها إماما السنة البخارى ومسلم، والمفسران الزمخشرى والنسفى، وأئمة البلاغة وإعجاز القرآن، عبد القاهر الجرجانى وسعد

(١) أما ماذا فعلت فى غير المسلمين؟ فمذابح المجر سنة ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا سنة ٦٨ أقرب مثال وخير مثال ، وأما ما فعلته فى نفسها فاقرأ فيه : آثرت الحرية - لفيكتور كرانتشيسكو روسى هارب من جحيم رومانيا .

(٢) هذا عنوان فصل فى كتاب : «الإسلام فى وجه الزحف الأحمر» ، وجدناه أفضل ما كتب عن حال المسلمين فى الاتحاد السوفيتى للداعية الإسلامى الشيخ محمد الغزالى .

obeikandl.com

الدين التفتازانى ويوسف السكاكى، ومنها الفارابى وابن سينا، ومن علماء الرياضة والفلك خالد والبلخى، ومن علماء الهندسة بنو موسى، ومنها البيرونى، والماتريدى و الخوارزمى ، والسرخسى والجوهرى وغيرهم .

ومن الثروات المعدنية :

٢٥٠ منجما للذهب، ١٦ للفضة، ٤٦ للحديد، ٣٢ للرصاص، ٣٤ للبترول، ٧٠ للفحم، ١٣ للكبريت، ٦٣ للصوديوم، عدا الأورانيوم والفرام والزئبق والنحاس والقصدير والبلاتين .

وهذه الأقاليم تمثل الشمال الشرقى من العالم الإسلامى .

وهى تمثل من حيث المساحة تسعة أعشار مساحة الاتحاد السوفيتى (كانت ٤٠٠ ألف كليو مترا ،فصارت بعد ضم البلاد الإسلامية ١٤ مليون كليو متر) .

بعد الثورة البلشفية أصدر مجلس قوميسيرى الشعب البلشفى نداء موجها إلى شعوب روسيا من المسلمين ـ كان من بين من وقعه لينين وستالين ـ جاء فيه (مؤرخا ٧ ديسمبر ١٩١٧) : إن امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار، والأرض التى تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل نارا .

وفى وجه هذه الأحداث الجسام نتجه بأنظارنا إليكم أنتم يا مسلمى روسيا والشرق، أنتم يا من تشقون وتكدحون ، وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهل.

أيها المسلمون فى روسيا .

أيها التتر على شواطئ الفولجا وفى القرم .

أيها الكرغيز والسارئيون فى سيبيريا والتركستان .

أيها التتر والأتراك فى القوقاز .

أيها الجبليون فى اتحاد القوقاز .

أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم ، وقبوركم واعتدى على عقائدكم وعاداتكم ، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم .

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم ، وحرية نظمكم القومية ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم ، لا يطغى عليها ولا يعتدى عليها معتد .

هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم ،فأنتم أحرار لا حول بينكم وبين ما تشتهون حائل . إلى أن قال البيان :

أيها الرفاق ، أيها الإخوة .

لنتقدم سويا فى عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطى .

إن رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة فى أرجاء العالم.

أيها المسلمون فى روسيا .

أيها المسلمون فى الشرق .

إننا ونحن نسير فى الطريق الذى يؤدى بالعالم إلى بعث جديد نتطلع إليكم لنلتمس عندكم العطف والعون .

استجابت البلاد الإسلامية وأعلنت استقلالها (عن الحكم الروسى القديم) .

فهل تركها الحكم الذى « يحمل الحرية للشعوب المظلومة فى أرجاء العالم» ؟

فى أبريل سنة ١٩١٨ ـ أى بعد أربعة شهور من البيان السابق ـ أصدر لينين أمرا بالزحف على البلاد الإسلامية ، وسارت الجيوش الروسية بالدبابات والطائرات والمدافع تدمر وتحصد ما فى طريقها ، وفى نهاية العام تم لها الاستيلاء على جمهورية «إيديل أورال» وشمال القوقاز، وحكومة خوقند، وتأخر استيلاؤها على شبه جزيرة القرم لعنف المقاومة فيها .

وفى سنة ١٩١٩ تم الاستيلاء على جمهورية ألاش أوردو .

وفى أبريل سنة ١٩٢٠ انتهت من احتلال القرم ، واستأنفت الهجوم على جمهورية أذربيجان واستطاعت إخضاعها .

وفى نهاية سنة ١٩٢٠ استولت على جمهورية «خيوة» بعد أن ظلت تدافع دفاع المستميت.

وفى سنة ١٩٢١ استأنفت الهجوم على جمهورية بخارى، ودار فيها قتال مرير ودافع أحفاد الإمام البخارى ﷺ عن ميراث محمد ﷺ ، لكنهم وحدهم لم يستطيعوا الوقوف فى وجه الزحف الأحمر الثقيل ، فهزمت جيوشهم المنظمة ، لكنهم ظلوا يحاربون حرب عصابات مدة عشر سنوات دون أن يتلقوا أية معونة من العالم الإسلامى [1]، ونشرت جريدة أزفسيتا فى عددها الصادر ١٥ يوليو سنة ١٩٢٢ تقريرا للرفيق كالينين عن مجاعة القرم (نتيجة نقل الروس ما فى الجزيرة من أقوات ليضطروهم للتسليم) .

بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع فى شهر يناير ٣٠٢,٠٠٠، مات منهم ١٤,٤١٣.

ارتفع عددهم فى شهر مارس إلى ٣٧٩,٠٠٠ .

مات منهم ١٩,٩٠٢.

بلغ فى أبريل ٣٧٧,٠٠٠ .

مات منهم ١٢,٧٥٤ .

وفى يونيه ٣٩٢,٠٧٢ .

(ولم يذكر كم مات فى هذا الشهر ؟) .

وقد كان سكان القرم فى سنة ١٩١٧م : ٥ ملايين .

فأصبحوا فى سنة ١٩٤٠م .

٤٠٠ ألف فقط .

---

(١) كان العالم الإسلامى قد قطع إربا، وكانت دولة الخلافة الإسلامية خارجة من الحرب العالمية الأولى ، وكان زعيمها مصطفى كمال أتاتورك ـ لعنه الله ـ يتأهب لإلغاء الخلافة الإسلامية .

أقل من عشر السكان .

وكانت المساجد ١٥٥٨ مسجدا .

لم يبق منها إلا عشرات .

لجأت الثورة الشيوعية ـ بعد أن استتب لها الأمر ـ إلى نفى شعوب بأكملها ليحل محلها الروس، وفى بيان لوكيل الجامع الأزهر، ورئيس جماعة الكفاح الإسلامى أرسل إلى الأمم المتحدة ، قدم بعض المهاجرين من الحكم البلشفى الغاشم بعض الحقائق نذكر منها:

أ – فى التركستان وحدها :قتل الشيوعيون سنة ١٩٣٤مائة ألف مسلم ، ونفوا ثلاثمائة ألف مسلم، ومات ثلاثة ملايين جوعا، نتيجة استيلاء الروس على محاصيلهم وإعطائهم للصليبنين ليحلوا محلهم . وفيما بين سنة ١٩٣٧ – ١٩٣٩ ألقت القبض على ٥٠٠ ألف مسلم أعدمت منهم فريقا ونفت الباقى .

وقتلوا من علماء الدين : الشيخ برهان البخارى قاضى القضاة ، والشيخ خان مروان مفتى بخارى ، والشيخ عبد المطلب داملا ، و الشيخ محسوم متولى ، والشيخ عبد الأحد دارخان ، والشيخ الحاج ملا يعقوب ، والشيخ ملا عبد الكريم ، وغيرهم كثيرين . ومن الساسة خدمة نياز رئيس الجمهورية، ومولانا ثابت رئيس الوزراء، وشريف حاج قائد مقاطعة ألما أتا، وعثمان أوراز قائد مقاطعة كاشغرو، يونس بك وزير الدولة والحاج أبو محسن وزير التجارة ، وطاهر بك رئيس مجلس النواب، وعبد الله داما وزير الأشغال .

وفى سنة ١٩٤٩ هرب ٢٠٠٠ شخص منهم ١٢٠٠ لقوا حتفهم فى الطريق .

وفى سنة ١٩٥٠ هرب ٢٠٠٠٠ مسلم ، وقتلت روسيا منهم سبعة آلاف .

ب – فى القرم قتلوا :

سنة ١٩٢١ مائة ألف مسلم جوعا .

سنة ١٩٢٨ قتلوا ولى إبراهيم رئيس الجمهو ية مع وزرائه .

سنة ١٩٣٠ قتلوا محمد قوباش رئيس الجمهورية وجميع وزرائه .

سنة ١٩٣٧ قتلوا إلياس طرخان رئيس الجمهورية وجميع وزرائه، بعد استدعائهم إلى موسكو أثناء محاكمة المارشال تحاتشنفسكى .

نصوص فى الاتحاد السوفيتى :

فى دستور سنة ١٩١٨ نص على أن: حرية الدعاية الدينية واللادينية مكفولة للجميع .

عدل فى سنة ١٩١٩ إلى : حرية إقامة الشعائر الدينية، وحرية الدعاية اللادينية مكفولتان لجميع المواطنين .

وفى دستور سنة ١٩٣٦(م ١٢٤) لكى يستمتع المواطنون بحرية الضمير تفصل الكنيسة فى الاتحاد السوفيتى عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة ، ويكفل لجميع المواطنين حرية الدعوة ضد الدين .

وفى المادة ١٢٢من القانون الجنائى السوفيتى تحريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية فى مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة.

وواضح من هذه النصوص :

١- التفرقة الظالمة بين حرية التدين وحرية الإلحاد ، فالأولى قاصرة على مباشرة الشعائر (إن صدقوا فيها) ، والثانية ممتدة إلى حرية الدعوة والدعاية ضد الدين .

٢- تنتهى حرية التدين إلى مجرد شعائر بغير مضمون ولا تطبيق إذا وعينا النص الجنائى الذى يحرم تلقين الأطفال العقائد الدينية فى مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة ، فمن أين يأتى لهم التدين الذى يسمح الدستور (المحترم) بممارسة شعائره؟

المبحث الثانى

المسلمون فى غير الاتحاد السوفيتى من البلاد الماركسية

ونكتفى فيه ببعض النماذج :

أولا : من الصين :

ونأخذ منها مثلا واحدا .. ما نشرته صحيفة «تمد بات باد» فى هونج كونج فى عددها الصادر فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٦ ، وهو منشور موجه إلى الحرس الأحمر جاء فيه : «يا رجال الحرس الأحمر» لا يمكن أن ندع عدوا من أعدائنا يهرب، وعلينا من الآن فصاعدا أن نهاجم أكثر الأعداء تخفيا ـ المسلمين الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم . .

من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الدينى على وجوهكم سنطردكم وندمركم .

ومن الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار ؛ لأن الأبقار تخدم الشعب ، يجب أن تأكلوا لحم الخنزير . .

ولا يمكنكم من الآن فصاعدا أن تضيعوا وقتكم فى الصلاة . .

يجب ألا تتكلموا العربية التى هى ضد اللغة الصينية .

ولن يسمح لكم بأن تقرؤوا ما يسمى بالكتاب المقدس (القرآن) .

اسمعوا أيها المسلمون :

ـ دمروا جوامعكم .

ـ حلوا المنظمات الإسلامية .

ـ أحرقوا القرآن .

ـ ألغوا الحظر الذى وضعتموه على الزواج المشترك .

ـ كفوا عن الصلاة .

ـ ألغوا الختان .

ـ ادرسوا أفكار ماو .

ـ إذا لم تندمجوا سنطردكم وندمركم ، يجب أن نسحق جحور الجرذان الدينية وندمرها معكم .

ـ فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى .

ـ فليحيا طويلا طويلا الرئيس ماو [1] .

ثانياً : من يوغسلافيا :

ونقتطف بالنسبة لها من بيان وكيل الجامع الأزهر عمن جاؤوا لاجئين :

١ـ قتل الشيوعيون ٢٤٠٠٠ مسلم بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة :١٥ ألفا من مقاطعة طوزلا . ٣ آلاف من مدينة سراييفوا .٦ آلاف من ماكيدونيا وكومونا .

٢ـ قتلوا مفتى كرواتيا الشيخ عصمت مفتيتش والعالم مصطفى يوصولا حبيتش.

٣ـ فى سنة ١٩٤٧ حكموا على ١٧ زعيما ألبانيا بالإعدام (من المقيمين فى يوغوسلافيا) .

٤ـ فى سنة ١٩٤٩ حكموا على ١٣ زعيما ألبانيا بالإعدام، وعلى آخرين بالأشغال الشاقة .

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى، عدد أكتوبر ١٩٦٦ أشار إليه كذلك الشيخ محمد الغزالى فى كتابه القيم الإسلام فى وجه الزحف الأحمر .

ثالثا : من بلغاريا :

جاء فى بيان موجه من هؤلاء المسلمين إلى إخوتهم فى العالم الإسلامى ، وأشار إليه خطاب اتحاد الطلبة المسلمين فى شرق أوربا إلى كل من وزير الخارجية السعودى ، وإلى الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٦ [(١)] :

نحن المسلمين البلغار نتقدم بالشكر لكل من عمل على نشر قضيتنا للرأى العام سواء كان ذلك بالإذاعة أم بالصحف ، وقد كان لذلك أثر عميق فى نفوسنا ، ونود أن نوضح حقائق أخرى عن تلك القضية :

بعد أن شعر المسؤولون البلغار بنشر القضية خارج القطر أذاع راديوا صوفيا بيانا باللغة العربية رادا فيه بأن المسلمين فى بلغاريا يتمتعون بكل حرية ومساواة مع الآخرين .

لا شك أن هذا الرد غير صحيح وبعيد كل البعد عن الحقيقة كما سنوضح ذلك، ونلفت نظر العالم بأجمعه أن الدستور البلغارى يذكر فى المادة (٣٣) .

البند (ب) لكل مواطن بلغارى الحق فى أن يعتنق أى دين يرتضيه .

البند (و) لكل مواطن بلغارى يحمل اسما غير بلغارى الحق فى رفع قضايا جنائية فى حالة تعرضه للأذى أو الإهانة لمجرد حمله لهذا الاسم .

وبالرغم من ذلك فإن الحكومة البلغارية مصممة ومستمرة فى تنفيذ مخطط التنصير الماركسى ضد المسلمين .

فقد طلب من جميع المعلمين المسلمين أن يغيروا أسماءهم الإسلامية أو أن يطردوا من أعمالهم ، وألا يسمح لهم بممارسة أى عمل فى أى جهاز من أجهزة

---

(١) الأول برقم ٤٢ فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦م ، والثانى فى ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦هـ .

الدولة الرسمية ، ورفض ١٦٥ معلما مسلما أن يغيروا أسماءهم، ولذلك طردوا من وظائفهم، ومنعوا من حق العمل فى بلغاريا موطنهم ومسقط رأسهم .

وعند بدء العام الدارسى ١٩٧١-١٩٧٢ طلب من جميع تلاميذ المدارس المسلمين أن يغيروا أسماءهم الإسلامية كشرط لاستمرارهم كتلاميذ وإلا يطردوا من المدارس، ورفضوا جميعهم وطردوا من المدارس .

صدرت أوامر فى المؤسسات الحكومية لجميع المسؤولين الإداريين أن يقوموا بإجراءات حازمة لتغيير أسماء المسلمين العاملين فى المؤسسات ، وكونت جماعات بوليسية مسلحة من قبل وزارة الداخلية لمراقبة تنفيذ هذه الأوامر ومتابعتها حتى النهاية .

تم القبض على مجموعات كبيرة من المسلمين، ووضعوا فى معسكرات أعدت خصيصا لهذا الغرض، وساموهم أمرَّ أنواع العذاب، ومن عاد منهم فبرجل مكسورة أو يد أو أضلع مكسورات .

تم حصار بعض القرى، وقاموا بانتهاك حرمات المنازل بعد أن حطموا الأبواب والنوافذ، واقتحموها عنوة وقذفوا بأصحابها فى الخارج ، وقد لقى عدد كبير من النساء والأطفال حتفهم، وكذلك الشيوخ من جراء الرصاص الذى أصلاهم به رجال الأمن الذين من واجبهم حفظ المواطنين ، وقد تعرض الكثير من النساء والأطفال لنهش الكلاب البوليسية، وقد عارض كل المسلمين تلك الأوامر حتى الفتيات منهم مما أدى إلى إرسالهن إلى السجون ، ولإخفاء تلك الجرائم تم القبض على بعض المسلمين واتهموهم زوراً وبهتانا بارتكاب جرائم قتل المسلمين، وحكم عليهم بالإعدام ، ونفذ فيهم حكم الإعدام .

فى يوم ١٠ مايو ١٩٧٢ تحرك حوالى ٥,٠٠٠ مسلم من منطقة بازرجيك ومنطقة بلاقويفقراد وسمولن قراد فى مظاهرة احتجاج متجهين إلى صوفيا (العاصمة) ،

وكان ذلك فى جوف الليل لكى لا يعلم بهم البوليس ، وقد ضم الموكب كل فئات المسلمين من الذين أعمارهم من ١٥ إلى ٧٥عاماً وكان تحرك الموكب تحت ظروف قاسية وسط الأمطار الغزيرة والوحل ، وعلى بعد أميال قليلة من صوفيا وبالتحديد فى محطة إسكار، علمت بهم السلطات، وأرسلت لهم قوة ضخمة من الجيش والبوليس وحاصروهم بالدبابات والعربات المصفحة ، ونقلوهم إلى مدينة بيلو حيث وضعوا فى السجون حتى الآن .

وفى ١٢ مايو١٩٧٢ حوصرت قرية إيلانسكو برجال البوليس ، تصحبهم الكلاب البوليسية ، فتصدى لهم المسلمون بشجاعة وبسالة، وقتلوا أحد رجال البوليس، وكإجراء انتقامى تم القبض على ٣٠ مسلما، وقدموا إلى محاكمات عسكرية أصدرت أحكامها بالإعدام على ثلاثة من المسلمين وبالسجن على عدد آخر .

فى يوم ١٣ مايو ١٩٧٢ حوصرت باكرودا، حيث يشكل المسلمون نسبة ٨٠ ٪ من عدد السكان، واقتحم الجيش منازل المسلمين عنوة، واقتادوا المسلمين مكبلين بالسلاسل، واقتيدوا إلى مراكز الشرطة ، حيث طلب منهم أن يوقعوا على طلب بتغيير أسمائهم تحت جو من الإرهاب والضرب والتهديد بالسجن والطرد من العمل، وفى هذه الظروف القاسية تمكن الشهيد أمين محمد وفتسرنكوف من الهرب ولكن قوات الجيش طاردته، وأطلقت عليه الرصاص فاستشهد ، وهو أب لطفلين فى ٣٢ عاما من عمره .

أوقفت جميع المعاشات عن العجزة الذين تقاعدوا عن العمل، وأغلقوا أبواب العمل أمام كل الذين رفضوا تغيير أسمائهم، وحرموهم حق العلاج، وهم الذين أفنوا شبابهم فى خدمة بلغاريا .

حدث فى مدينة «مدان» أن وضعت امرأة مسلمة فى أحد المستشفيات الحكومية ، وطلب منها رسميا أن تختار لطفلها اسما غير إسلامى ، فرفضت أن تستجيب

لطلبهم فأخبروها أن هذا أمر حكومى ولابد أن تنفذه ، فعند ذلك رمت طفلها بين أيديهم وتركته لهم .

فى كثير من مناطق المسلمين حطموا المساجد ، وكانوا فى الماضى قد منعوا الشباب من دخول المساجد ، والآن قد منعوا الشيوخ، وكانوا ينتظرون موت أئمة المساجد كى يقفلوها بحجة أن إمام المسجد قد توفى .

إلى غير ذلك من الحوادث الشنيعة فى مطاردة المسلمين وإذلالهم .

ويختتم البيان بما يلى :

إننا نناشد إخواننا المسلمين والعرب أن يمدوا لنا يد العون، وألا يكتفوا فقط بالاحتجاج ، إذ إن هذا الأمر يحدث على سمع العالم ومرآه ، إننا نطالب وقف هذه الحملة ضدنا دون ذنب ارتكبناه ، ونطلب من الدول العربية التى لها علاقات اقتصادية مع بلغاريا أن تتدخل فى الأمر ، وكذلك مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ، ونرجوا أن يرفع هذا الأمر للأمم المتحدة ولجنة حقوق الإنسان ، إذ إننا لا نستطيع الاتصال بهم .

ونسأل الله أن يشد من أزرنا .

وموعدنا الصبح أليس الصبح بقريب .

المسلمون البلغار

رابعا : من ألبانيا :

وننقل هنا عن اتحاد الطلبة المسلمين فى شرق أوربا .

إذا كانت هنالك معان كثيرة ومختلفة توصف بها حالة شعب من الشعوب ، لكى تترجم معانى التضحية والصبر ومعاناة الاضطهاد، وتحمل كل ذلك بنوع كبير من

التحدى لكل شىء، وإن شعب ألبانيا المسلم لجدير بأن تطلق عليه تلك المعانى و الصفات .

وهنا نبدأ بنظرة سريعة مختصرة لتاريخ ألبانيا القريب ، وذلك إلى ما قبل خمسين عاما ، كانت ألبانيا فى حوالى العشرينيات من هذا القرن تحكم بواسطة أحمد زوقو حيث كان ملكا عليها، وكان الشعب فى ذلك الوقت يمارس طقوسه الدينية بحرية سواء المسلمين أو المسيحيين، وفى هذا التاريخ بدأت عواصف الشر تهب من بعد، حيث وقعت ألبانيا تحت الحكم الإيطالى فى عهد (فكتور أمناولى) وانتدب (دوتشه موسيلينى) ليحكم ألبانيا، أما الملك أحمد زوقو فقد نقل إلى إيطاليا .

ثم بدأت الحرب العالمية الثانية، وكانت ألبانيا مثل جارتها يوغوسلافيا ترزح تحت السيطرة الألمانية ، ولأسباب الحرب مع الألمان فقد اندمجت كل من يوغوسلافيا وألبانيا تحت قيادة واحدة برئاسة (تيتو) ، وكان من ضمن القادة البارزين فى حرب العصابات كل من (أنور خوجه) و (محمد شيخو) الألبانيين ، اللذين هما الآن يسيطران على الحكم فى ألبانيا، استمر الاتحاد الائتلافى بين يوغوسلافيا وألبانيا من عام ١٩٤٤ إلى ١٩٤٨ ، حيث ظهرت سياسة تيتو المعتدلة مع الشيوعيين والتى لم ترق للقادة الألبانيين فانفصلوا عن يوغوسلافيا وتبنوا الحكم الشيوعى الماركسى المتطرف .

تلك نظرة سريعة ، الهدف منها الوصول إلى معرفة الوسائل التى أوصلت الحكم إلى ما هو عليه الآن .

ألبانيا يبلغ تعداد سكانها المليونين نسبة المسلمين ٨٠-٩٠٪، وباقى السكان مسيحيون، ويتركز السكان المسلمون فى وسط ألبانيا ، ورغم أن المسلمين نسبتهم كبيرة إلا أنهم يلاقون أشد المصاعب والاضطهاد من عنت الحكم الشيوعى الحاقد .

حيث قام الحكام الحاقدون بهدم المساجد ، ومنع المسلمين من أداء شعائر دينهم،

كما أن مواليدهم الجدد لا يتم تسجيلهم وإعطاؤهم الجنسية إلا بأسماء غير إسلامية، وكذلك الموتى لا يتركونهم لأهليهم ليمارسوا عليهم الشعائر الإسلامية ، من غسل وكفن وصلاة، كذا لا يدعونهم يدفنونهم فى مقابرهم الخاصة، بل يجبرونهم بدفنهم فى المقابر العامة مع الشيوعيين، أما عند عقد الزواج فيستحيل ذكر الديانة ويتم العقد تحت اسم مواطن ألبانى فقط ، وأما بالنسبة للمناهج الدراسية فهى حقلهم الخصب فى زرع الإلحاد فى نفوس الأطفال الصغار منذ نعومة أظفارهم إلى أن يستوى عودهم، وذلك بمختلف الوسائل التعليمية ،والإعلامية وقد حدثنا أحد أولئك الذين اشتغلوا بمهنة التدريس حيث يقول: إن الوزارة أمرت المدرسين بأن يهتموا بغرس فكرة عدم وجود الله فى عقول الأطفال ، وقد حدث مرة أن سأل طالب عن الله : هل هو موجود ؟ فأجاب الأستاذ : نعم ، إن الله موجود ، وبسبب هذه الإجابة قضى الأستاذ ستة أشهر فى السجن ، ثم طرد من مهنة التدريس بتهمة أنه يعلم الأطفال أشياء تضر بمستقبلهم ، ويذكر الأستاذ بأن الإجابة المتعارف عليها عن الله ورسوله ، هى أن الله ـ والعياذ بالله ـ هو (أنور خوجه) ربهم ومالك نعمتهم ، وأن (محمد شيخو) رسوله والمتصرف بأمره .

هذا جزء بسيط ، وقطرة من بحر عميق مما يلاقيه المسلمون فى ألبانيا المسلمة .

خامسا : من الصومال :

أعلن زعيم الانقلاب العسكرى محمد زياد برى الاشتراكية العلمية (الماركسية)، ثم أصدر بعض النصوص القانونية : التى تسوى بين الرجل والمرأة فى الميراث، وصرح تعليقا على ذلك لإحدى المجلات المصرية [1]، ولأن الإسلام دين ثورى ، فقد قام بحل بعض المشاكل حلولا فورية ثورية، وكتب شيخ الجامع الأهر يقول : إنه تثبت من قتل بعض علماء الإسلام الذين كتبوا لرئيس الانقلاب يوضحون

(١) مجلة روز اليوسف ، ٢ فبراير سنة ١٩٧٦م .

حكم الله فى الموضوع ، لقد قتلهم أشنع قتلة لأنهم بينوا حكم الله .

أما الذى لم يفصح عنه الإمام الأكبر ، فهو أنهم قُتلوا حرقا [1]، ليعيد للأذهان قصة أصحاب الأخدود .

﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [البروج] .

(١) وقد أراد شيخ الأزهر أن ينشر بيانا فى الصحف عن تلك المأساة ، لكنه لم يسمح له بذلك .

obeikandl.com

المبحث الثالث

كيف يعملون الآن فى العالم الإسلامى ؟

وننقل هنا عن مجلة كومونيست السوفيتية الصادرة فى أول يناير سنة ١٩٦٤ :

إن بين الاشتراكية العلمية والأديان السماوية صراعا مستمرا .

لقد أوصانا لينين منذ البدء بأن إعادة التنظيم الفكرى للعقيدة الدينية ومفاهيمها إنما هى بمثابة (التنقيح للدين) وتحدياته للاشتراكية العلمية .

ثم تقول :

ستظل العقيدة الاشتراكية فى نزاع مع العقيدة الدينية ، ولن يستقر التحول الاشتراكى الصحيح إلا بسيادة الاشتراكية على الدين .

ثم تقول :

وإذا اقتضت مراحل التحويل الاشتراكى **تعايشا مع العقيدة الدينية**، أو إظهار الاهتمام بها فى بعض الحالات ، كما هو الحال فى المناطق الإسلامية ، فإن هذا الاهتمام هو من قبيل التدبير المؤقت .

ثم تقول :

وفى بعض النظم الاشتراكية الجديدة نجد جماعات من أصحاب المسؤوليات، وهم اشتراكيون فكراً واقتناعا ـ يمارسون الفروض الدينية ويشجعونها ، وهم يفعلون ذلك للسيطرة على زمام المعاقل الدينية لئلا تتحداهم ، وترى مرحلة التحويل الاشتراكى مرحلة قاسية ، ونحن فى الاتحاد السوفيتى لجأنا إلى هذا

الأسلوب أيضا فى مناطقنا الإسلامية .

كما يلجأ إليه أقطاب الحزب الشيوعى فى إيطاليا الكاثوليكية .

وتضيف المجلة :

ففى مثل هذه المناطق الإسلامية وجدنا أن ممارسة الطليعة الاشتراكية **للفروض الدينية يساعدنا كثيرا على مرحلة التحويل الاشتراكى هناك** [1] ، لأن العبادة العلنية فى الوسط الإسلامى تعبر عن احترام الطليعة الاشتراكية للمشاعر المحلية ، وبالتالى تنتزع هذه الطليعة من هذا الوسط الإسلامى الاحترام والطاعة للقيادة الاشتراكية .

وتضيف :

ولكن من الضرورى أن يأتى وقت تقرر فيه القيادة الاشتراكية قرارا حازما بألا مبرر بعد للهدنة مع الميراث الدينى وأصحابه وإلا أدت هذه المهادنة إلى بعث دينى فيه خطر على التجربة الاشتراكية .

وفى النهاية :

« مكافحة الدين وروابطه لا تكون بنسف الدين ومعابده كليا من حياة الناس ، فلا تحطم الفأس ما فى الضمير »[2] .

ولكن مهمة الإلحاد العلمى أن تتركز الدعوة الاشتراكية على الترويج لشعار الثورة، والتركيز على خلق وعى مادى كالدعوة إلى العلم فى نفوس الجماهير؛ لينفروا من الدعوة الروحية التى هى من طبيعة الإيمان ، وليس من الضرورى أن تهزأ من

---

(١) حرص السيد خالد محيى الدين فى مصر على أداء فريضة الحج، والإعلان عن ذلك، كما حرص على الإعلان أنه يؤدى الصلاةويؤمن بالإسلام عقيدة (وطبعا لا يؤمن بها شريعة؛ لأنه يؤمن بالنظام الماركسى أو كما يسميه الاشتراكية العلمية) راجع مقالا له فى جريدة الأخبار فى ١٩٧٦، وراجع مؤلف الدكتور عبد الحليم محمود، الفصل الخامس ، المنهج الشيوعى .

(٢) هذا يدل على ذكائهم أخيراً وفهمهم لطبيعة العقيدة الدينية السليمة (كالعقيدة الإسلامية) ، ومراجعتهم لخطتهم السابقة .

قصص الإنجيل والقرآن والكتب الدينية التقليدية ، وأن تقول : المواعظ والصلوات بضاعة لا تصلح إلا للأطفال ، فهذا النوع من الدعاية الاشتراكية ضد الأديان لا يفيد كثيرا ، وإنما علينا أن نعيد تفسير قصص الدين وسيرة رجاله ومواعظهم وأحاديثهم وأقوالهم بقالب اشتراكى، فإذا قلنا : إن يسوع ثائر يطلب الحق للفقراء ، فهذا تفسير اشتراكى .

وبمثل هذا نقول عن محمد وغيره :

وحسبنا ذلك بغير تعليق [1] .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وعن كتاب صدر فى موسكو سنة ١٩٦٧، وأعيد طبعه عام ١٩٧٤م ، عن معهد الإلحاد العلمى بأكاديمية العلوم الاجتماعية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى [2]، يشير إلى بعض وسائل نشر الإلحاد ومحاربة الدين .

نقتطف منها جزءا ، لنرى أى حرب توجه ضد الدين رغم الدعاية الكاذبة بتعايش الشيوعية مع الدين .

ولنرى أن وسائل الإلحاد هى وسائل التبشير القديمة ، تعيد نفسها مرة أخرى ، وإن حاولت أن تتجنب أخطاء التبشير واقتربت من وسائل التغيير الاجتماعى يقول كتاب نشر الإلحاد الصادر فى روسيا :

والآن، من ذا الذى يعتبر أهلا للقيام بنشر الإلحاد بين معتنقى الإسلام ؟ ذلكم سؤال هام وخطير، إذا كان الداعية الملحد الذى سيحاور المسلم لا تربطه بالإسلام

---

(١) فى كتاب نحن والشيوعية فى الآونة الحاضرة، ـ الدكتور سعدون حجازى، دار الطليعة للطباعة، والنشر ـ ملحق عن موقف الحزب الشيوعى العراقى ـ كنموذج ـ من قضية فلسطين ص ٥٨.

(٢) قام بالترجمة من الروسية الدكتور سعد مصلوح مدرس علم اللغة الروسية بجامعة القاهرة، ونشرت بمجلة الدعوة السعودية فى عددها الصادر فى ١٢ من ربيع الآخر ١٣٩٦هـ ١٢ من أبريل ـ ١٩٧٦م بعض أجزاء اقتطفنا منها الجزء المشار إليه .

أية رابطة مشتركة من الناحية القومية، ففى إمكان المؤمن أن يفترض أنه إنما ينقد الإسلام خاصة ولا يتعرض لدينه هو بشىء ؛ لذلك كان من السهلّ على الداعية الذى ينتمى، والمؤمن إلى قومية واحدة أن يجرى معه حوارا ، وخاصة إذا بدأ الحوار بينهما باللغة القومية المشتركة ، وإن كان هذا لا يعنى أن علاقة المسلم بمن ينتمى إلى قومية أخرى قائمة بالضرورة على عدم الثقة .

وأيا كانت قومية الداعية ، فلابد له من معرفة جيدة بالدين والعادات والتقاليد التى يتمسك بها المؤمن ، فخلال العمل بين المسلمين تعد مراعاة السن والجنس عند المؤمنين على جانب من الأهمية ، ومن ثم كان الحديث إلى كبار السن أيسر بالنسبة لداعية متقدم فى السن ، والغالبية العظمى من المسلمات يرفضن الحوار مع الأجنبى، أما مع المرأة التى تقوم بالدعاية فإنهن أفضل سلوكا إلى حد كبير .

أضف إلى ذلك أن نموذج المرأة النشيطة يؤثر تأثيرا قويا على كثير من النساء، فالمؤمنات يتجهن إلى محاكاة الصديقة الأكثر ثقافة أو ذات الشخصية الأكثر استقلالا .

ويعين الداعية إلى الإلحاد فى عمله الرأى العام الإلحادى الذى هو مدعو، لأن يقوم بتشكيله، ومن المعروف على سبيل المثال ـ أن كبار السن يكتسبون نفوذا غير عادى بين المسلمين ، وهذه الخاصية يستغلها كذلك الداعية حين يلجأ إلى مساعدة الشيوعيين المتقدمين فى السن والذين يكونون موضع الإجلال فى المنطقة ، إذ يصغى الناس فى العادة إلى كلماتهم باهتمام خاص وباستعداد لتنفيذ أى رجاء يصدر منهم ، وتمارس لجان الكبار التى تؤسس فى مناطق السكنى والمؤسسات تأثيرا قوميا فى تكوين رأى عام إلحادى، ففى كولخوز «مير» فى منطقة أشخاباد (عشق آباد) امتنع والد طالبة بالصف العاشر اسمها جولينا عطاييف عن إرسالها إلى المدرسة وحاول إرغامها على الزواج ، وتكلم أعضاء لجنة الكبار عن الكولخوز مع والدى الفتاة أكثر من مرة ، وتوصلوا إلى إعادة الطالبة إلى المدرسة . وفى كولخوز « كيناس » يقوم

أعضاء لجنة الكبار بعمل كبير ، إذ يزورون بانتظام البيوت التى يقيم فيها المؤمنون ، وقد توصل هؤلاء الأعضاء الذين اضطلعوا بمسؤولية دفن الموتى إلى أن جعلوا تأثير الشيوخ الرسمين وغير الرسمين يتضاءل فى هذه العملية إلى حد كبير، وفى نشر الإلحاد بين المسلمين فى دار الإلحاد العلمى بموسكو يعمل الشيوعيون، المتقدمون فى السن مثل م . ش . شاجى أحمدوف، وس . خ إسماعليون وج. م ، اختيافون وكثير غيرهم ، وهم يزورون مساكن المؤمنين ويحادثونهم ويسدون إليهم النصيحة .

ويساعد الدعاة مساعدة كبيرة فى صراعهم ضد التأثير الدينى ارتداد إنسان ذى شهرة فى قضايا الدين يضلح مثالا بالنسبة لبعض المؤمنين، وقد حقق الملحد قادربرزنيسوف من كولوخوزكيسيل بولدوزاخ جمهورية تركمانية نجاحا كبيرا فى نشاطه الإلحادى ، عندما دعا جماعة من أكثر المؤمنين تعصبا، ثم ارتدوا عن الدين ليخطبوا أمام غيرهم من المؤمنين، وصار الذين ارتدوا عن الإسلام فى هذا الكولوخوز عونا للداعية يمارسون نشر الإلحاد بين أفراد المؤمنين .

ويكتسب العاملون فى ميدان الطب نفوذا كبيرا بين المسلمين ، وفى نقط العلاج الطبى يستقبل الأطباء مرضاهم للعلاج الصحى والاجتماعى، وهكذا يقدم الأطباء المساعدة الطبية ثم يدور الحديث حول موضوعات العلوم الطبيعية. وقد حققت نقط العلاج الطبى هذه فوائد جمة لقضية تربية السكان تربية إلحادية فى مدن أوزبكستان وقراها ؛ ولذا فإن الطبيب ومساعده من أجود المرشحين لممارسة الإلحاد بين أفراد المسلمين .

ويختص المعلمون فى المدارس بدور كبير فى الدعاية إلى الإلحاد ، فالبداية الأولى للتعرف إلى الطفل تجعل فى إمكان المعلم تحديد التأثير الدينى للعائلة . ومهمته الأولى حينئذ هى إقناع الآباء بالامتناع عن تربية الأولاد تربية دينية، ويمكنه ـ فى الوقت نفسه أن ـ يؤثر إلحاديا كبيرا على الآباء أنفسهم بإقامة اتصال مباشر بينه وبين

أسرة التلميذ .

كثير من المعلمين لا يقصرون دورهم على تنشئة تلاميذهم بحيث يشبون غير متدينين، بل إنهم يربون فيهم رسوخ العقيدة فى الإلحاد والقدرة على مساعدة المؤمنين على التحرر من أغلال الدين . وقد نشرت صحيفة «الكوسمولى الأوزبكستانى» واقعة طريفة عن رجل عميق الإيمان اسمه غلام أكا ، أحضر إلى طشقند ماء مقدسا من بخارى ، وكم حاول أقاربه أن يقنعوه بأن هذا الماء لا يحوى أى شىء مقدس فلم يقتنع العجوز ، غير أن ابنته كانت تلميذة فى الصف العاشر وضعت نقطة من الماء المقدس تحت الميكروسكوب ودعت أباها أن يحدق النظر ، فقال الرجل فى دهشة : ما هذه الديدان ؟ إن نقطة الماء أكبر بمئات المرات ، يا إلهى لم أكن أتصور على الإطلاق أن فى الماء المقدس يمكن أن يوجد مثل هذا العدد من الميكروبات إنها معدية، ميكروبات، ألقى هذا الماء يا ابنتى على الأرض فى الحال. هذه تجربة بسيطة قامت بها تلميذة أدت النتيجة المرجوة ولم تفلح فى تحقيقها محاولات الإقناع والشروح المسهبة .

وتؤدى اللجان النسائية دورا كبيرا فى ممارسة نشر الإلحاد بين الأفراد من النساء المؤمنات ، وقد أثرت تأثيرا كبيرا من مناطق سمرقند ، حين نظمت اللجان النسائية فى نهار رمضان حفلات الشاى للنساء الصائمات فى الشقق والنوادى ، ولم يكن المؤمنات يرفضن الإفطار فى مثل هذه الأحوال ، وبذلك كن يخطون الخطوة الأولى فى سبيل الانعتاق من الدين .

ومن الأمور التى لها أهمية فى نشر الإلحاد بين النساء تكوين رأى عام ضد الحجاب ، وضد تزويج صغار السن من البنات ، وضد المعاملة المهينة للمرأة ، ففى كولخوز ألاتو فى جمهورية كيرغيزيا يتحدث الملحدون إلى الرجال أمام الزوار الآخرين قبل بداية أى أجتماع أو عرض سينمائى ، يقولون لهم على سبيل المثال : يا

حسن ، قل للناس : لماذا أتيت إلى الحفل بدون زوجتك ؟ وأنت ياموزا أيضا بين الناس لم فعلت ذلك ؟ وهنا كان بعض الرجال يصمتون، ولكن كثيراً منهم كانوا يخرجون ثم يعودون ومعهم زوجاتهم، وهكذا استطاع الملحدون أن يجعلوا كل الرجال يحضرون إلى أماكن الاجتماعات العامة ومعهم زوجاتهم.

وربما كان عميق الإيمان من المسلمين أكثر عزوفا عن حضور الأمسيات والمحاضرات والمحادثات الإلحادية من اتباع أى نظام دينى آخر ، ذلك أن القرآن يستنكر تناول الدين بالنقد ؛ لذلك كانت المناقشات المضادة للدين والكلمات العامة عنه لا تجدى نفعا ، ذلك أن أى طعن على الإسلام يعتبر إهانة صارخة لإنسان رضع من لبن أمه التصورات الدينية التى يشاركه إياها أجداده وأجداد أجداده . وفى مثل هذه الأحوال نجد مثل هذا الإنسان إما أن، ينغلق على نفسه وإما أن يعبئ كل إرادته وعقله من أجل المقاومة، ولكنه لن يميل إلى قبول حديث عن الإلحاد ، فليس سهلا على الإنسان أن يتخلى عن العقيدة التى نشأ عليها.

لهذا كله لا يمس الدعاة المجربون الدين مسا مباشرا فى محادثاتهم أثناء ممارستهم نشر الإلحاد بين أفراد المؤمنين ، ولكنهم بعد أن يمهدوا بإثارة فضول المؤمن يتحولون إلى نقد الدين . وها هو ذا مثال نسوقه للمعلمة ب . وليفا من كولخوز « أكتوبر » فى ضواحى سمرقند . ففى المنزل عندما تجرى هذه المعلمة محادثات مع المتدينات حين يفدن عليها كل مساء لشرب الشاى والاسترواح ، وذلك دون أن تشعر أيا من المشتركات فى الحديث أنها دعوة لكى تنبذ دينها ، ويدور الحوار فى يسر وبلا تكلف عن أحداث العالم وأنباء الكلولخوز لكن ربة المنزل هى التى تحدد لون الحديث ثم توجه الكلام تدريجيا ودون أن تلحظ الأخريات إلى الموضوع المقصود ، فتطرح الأسئلة ثم تتولى هى بنفسها الإجابة ، وحينما يستولى موضوع الحديث على ألباب المؤمنات حينئذ تبدأ فى الكلام بحرارة وإقناع عن ضرر الرواسب الدينية.

وهذه قصة يرويها ملحد من موسكو يسمى ك.ح جوميروف تمكن من إخراج العاملة رحمة بارانجلونا .

ومن دينها ، يقول الملحد : «أخذت بصفتى ملحدا أزور شقة العاملة المتدينة رحيمة، وكنت أحادثها طويلا وأقرأ الكتب جهرا، وكانت رحيمة تصمت فى أكثر الحالات ولكنها كانت تصغى إلىَّ باهتمام، وكان واضحا أن هذه القصص تجذب اهتمامها. من العسير أن تتصور الأمر ، لقد سمعت منى لأول مرة عن الأبطال من النساء السوفيت وعرفت لأول مرة أسماء المشتغلات بالعلم من السوفيت ، وتكلمنا معها عن غزو السوفيت للفضاء .

وقد أزعجها كثيراً هذا الموضوع ، وأذهلها على وجه الخصوص أن رجال الفضاء لم يخافوا الله ، بل ربما خافهم الله ما دام لم يحل بينهم وبين أن يصعدوا إلى مثل هذا الارتفاع . وكان على ل . ح جوميروف أن يحادثها طويلا إلى أن خلعت رحيمة ربقة الدين من عنقها نهائيا.

ومن الأيسر على الداعية إلى الإلحاد أن يحقق النجاح عندما يكون الرأى العام بين المجموع مكيفا على نحو لا يفخر فيه الناس بتعليق آيات القرآن فى منازلهم ، بل يكون مدعاة للخجل أن يعلقوا الآيات أو أن يقسموا المنزل نصفين ، نصفاً للرجال ونصفاً للنساء ، أو أن يرفضوا الغذاء فى نهار رمضان ، أو أن يقوموا بختان أولادهم. . . إلخ

والملحد نفسه يشكل الرأى العام إلى حد كبير . يقص علينا أ . ب . أفكسينتوف وهو أحد الملحدين فى شمال القوقاز : أن عليمة جاجير زونفا شييزوخوفا وهى من المشاركات فى النشاط الاجتماعى ، كانت أول من امتنع عن إقامة المراسم الدينية فى زواج ابنتها ، وقد وجدت لها فى الحال أتباعا . ويدلنا هذا على أن تلك المراسم قد فات أوانها منذ زمن بعيد ، وما أسرع ما انتشرت الأنباء فى المنطقة عن زيجات

جديدة تتم بمشاركة الأوساط الاجتماعية وبدون مراسم دينية ، وهكذا انتهت مثل هذه الزيجات الدينية فى أركينخالكى وغيرها من المناطق .

ولابد فى العمل على نشر الإلحاد بين المؤمنين المسلمين من أن تشتغل فى براعة اللهفة إلى المعرفة، ذلك أن الإسلام إذ يقوم على أساس القرآن إنما يضيق اهتمامات معتنقيه ويحددها لكى يثبت الجهل، ولابد أن نضع الإسلام من ناحية والعلم والحضارة من ناحية أخرى كطرفى نقيض، إذ إن العلم والحضارة وحدهما هما الكفيلان بحق بتلبية رغبات السوفيت فى المعرفة .

وليس من قبل المصادفة تلك النتائج الإيجابية التى حققها أحاديث الملحد قادر بيرنييسوف ، وهو من كولخوز كيزيل يولدوز فى جمهورية تركمانية مع المتدينين، لقد استطاع أن يستخدم إنجازات العلم فى تفنيد التصورات الدينية . أما الملحد رحمن خوجا ميردييف ـ وهو مدير مدرسة كيرفا فى جمهورية أوزبكستان فقد سمع مرة أحد عمال الكولخوز واسمه رسول جمعابيف يقول فى حوار معه : « لا قدر الله علينا بنزول البرد . . وهكذا تبين مدير المدرسة أن المتحدث إليه رجل مؤمن . . أدرك هذا ولكنه لم يعر الأمر اهتماما، وأجرى الحديث معه لا عن الله، بل عن ظواهر الطبيعة وعن ماهية المطر والبرد، وكان يتكلم بطريقة مشوقة جذبت انتباه عامل المزرعة ، فأخذ هذا يرجو أن يزوره ضيفا وشرع الملحد يزور عائلة جمعابيف ، وكان يبرهن للعائلة باستعمال أمثلة من الحياة بسيطة سهلة الفهم على عدم وجود قوة ما فوق الطبيعة تمنح الإنسان خيرات الحياة ، وأن الإنسان نفسه هو خالق سعادته وهكذا قطع «رسول» علائقه بالدين . وقد أجرى ب . خوجا ميردييف أحاديث مع أحد المشايخ واسمه «تور» ، كانا يتقابلان عشرات المرات، وفى هذه اللقاءات كان يحدثه عن سفن الفضاء كما كان يحدثه عن المجتمع الشيوعى، ثم إن الملحد أطلعه على الجوهر الطبقى للإسلام، وفى مصلحة من كانت عقيدة القضاء والقدر؟ وهنا أعلن

الشيخ « تور » فى اجتماع عام لعمال الكولخوز أنه لا يريد بعد الآن أن يعيش هذه الحياة الطفيلية ، وأنه بالرغم من كبر سنه يود أن يعمل فى الكولخوز .

وهكذا تعمل الماركسية ضد الدين فى روسيا وفى خارج روسيا ، وإن زعمت غير ذلك...

obeikandl.com